الإشاريات التداولية في (رسائل النور) لسعيد النّورسيّ
-رسالة المعجزات القرآنية أنموذجاً-

ID No. 655

(PP 34 - 48)

https://doi.org/10.21271/zjhs.27.4.3

سربست غازي احمد **دلدار غفور حمدامين**

قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة صلاح الدين-أربيل

sarbast.ahmed@su.edu.krd deldar.hamadameen@su.edu.krd

الاستلام : 2022/10/09

القــبول : 2022/11/22

النـــشر : 2023/09/27

الملخص

يدرس هذا البحث أحد الأبعاد التداولية في رسالة "المعجزات القرآنية"، والتي هي إحدى (رسائل النور) لبديع الزمان سعيد النّورسيّ -رحمه الله تعالى-، ألا وهو البعد الإشاري، وذلك بالبحث في عناصره ومعطياته المتعلقة بكيفية توجيه النّورسيّ خطابه الديني المتجدّد بخصوص الشبهات التي تثار عن القرآن الكريم، موجهاً إنجاز الاتصال مع مخاطبيه، استناداً إلى منهج تحليلي يرتكز على معطيات الدراسة التداولية المعتمدة وفق المسح والتقصي، لمعالجة الفهيمات الأبستمولوجية المحجوبة في استعمالاته اللغوية، وإجلائها إلى فضاء الخطاب التواصلي الواسع، وفكّ شفرات ما هو مبهم في خطاب النّورسيّ، والذي يتضمن تجديداً في الخطاب الديني؛ بغية إقناع المخاطب، والعثور على البعـد التـداولي الكامن فيه، الذي يهدف إلى توليد منتهى منازل التـأثير والإقناع واجتذاب القلوب.

الكلمات المفتاحية: الإشاريات التداولية، التواصل والإقناع، رسائل النور، بديع الزمان النّورسيّ.

1. المقدمة

للإشاريات التداولية أنواع معينة، منها إشاريات يجب أن يفقهها كل متكلم في مخاطبته لغيره، لأنّها ذات استعمالات معينة في اللسانيات التداولية؛ لأن آلية استعمالها تكشف دلالتها التعبيرية وتبين هدف أبعـادها التواصلية الاجتماعية والفكرية بين أقطاب الخطاب، وتقترن مهارة المتحدث التواصلية بمدى معرفته بهذه الأسس والقواعد التي يعدها الباحثون التداوليون ضمن الكفاءة التداولية، والمعرفة المشتركة ما بين طرفي الخطاب تكون سبباً أساسيا لتوخي الغموض في الخطاب؛ من أجل إنجاز عملية تواصلية متكاملة.

ومما لا شك فيه أنّ هذا الأمر ينطبق على كل أنواع الخطاب ولا سيما الخطاب الديني، مع أنّ الخطاب الديني يحوي على ما هو في علم الغيب، فبغية توصيل الأفكار والوصول إلى إقناع المخاطب وإبعاده عن الملل بالإطناب والتكرار؛ سيتطرق هذا البحث لأحد الأبعاد التخاطبية المتمثلة بالإشـاريات، ودراستها ضمن لغة الخطاب الديني المتجدد عنـد بديع الزمان سعيد النّورسيّ ، بانتقاء نماذج من رسالته المعجزات القرآنية للإجراءات التطبيقية والتحليليـة، إذ يتميز النّورسيّ بأسلوب خاص يتضمن التجديد في الخطاب الديني، وهذا التجديد في الخطاب الديني جعله ذا منزلة رفيعة بين خطباء زمانه، فهـو يخاطب بأسلوب متجدد للوصول إلى الإقناع التام للمخاطب بمعجزة القرآن الكريم؛ لما كان في زمانه من إثارة للشبهات حول القرآن الكريم مستعيناً بكل المعارف التاريخية والجغرافية والمنطقية والعقلية، والتي تمثلت في سياق خطابه الديني.

وقد قام الباحث باتباع المنهج الوصفي التحليلي في البحث عن الإشاريات التداولية، وذلك بجمع وعرض الإشاريات اللغوية في اللغة العربية وفق ما جاء عند علماء اللغة.

ويتناول هذا البحث الإشاريات التداولية في رسائل النور لسعيد النورسي وبالأخص رسالة المعجزات القرآنية كدراسة لغوية للوصول إلى المعنى المُراد إيصاله للمُخاطب، ودور هذه الإشاريات التداولية وأغراضها وظائفها لبيان أهميتها ودورها في اللغة العربية .

وقد جاء في البحث الملخص والمقدمة ودراسة لبيان الإشاريات التداولية وطرح نماذج مما جاءت في رسالة المعجزات القرآنية للنورسي، فتناول الباحث الإشاريات الإحالة ومن ثم أنواع الإشاريات والتي تضمنت: الإشاريات الشخصية والإشاريات الزمانية والإشاريات المكانية والإشاريات الاجتماعية وأسماء الإشارة، مع ذكر نماذج من رسالة المعجزات القرآنية وتحليلها لغوياً لبيان الغرض منه أثناء توجيه الخطاب.

وجاءت الاستنتاجات بما توصل إليه الباحث من خلال بحثه في رسالة المعجزات القرآنية.

2. الإشاريات والإحالة

إنَّ الخطاب البشري عملية معقدة، لأنَّه عبارة عن تراكيب وضعت وفق مستويات متعددة، إذ تبدأ من التركيب الصوتي للحروف، ثم التركيب البنيوي للكلمات، ثم التركيب السياقي للجمل، والنص يتألف من عدد من العناصر تتواجد بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتساهم الروابط الزمانية والروابط الإحالية في تحقيقها (بحيري 2005م، ص94)، وهذه العملية بأكملها تتغير وفق من يوجَّه إليه الخطاب وفي أيّ مكان وزمان حسب قواعد التخاطب أو ما يسمى بالأبعاد التخاطبية (ع. حسن 2020م)، ثمّ إنّ إعادة ذكر الألفاظ ضمن السياق الواحد يولد التعقيد والإطناب، وما ذُكر في بداية الكلام يجب الإشارة إليه من بعده بتركيب لغوي آخر يعود عليه سواء أكان شخصاً أم مكاناً أم زماناً معيناً، وهو ما يراه اللغوي (روسل) في محاولته الاختزالية (الأنويات الخاصة) (Particulars egocentrique) (يول 2010م، ص42).

لذا؛ عندما نودّ التواصل أو توجيه الخطاب لابدّ من وجود الإشارة أو الإحالة لتعيين الموضوع الذي يودّ المتكلم التحدّث عنه عَبرَ وحدات تركيبية معروفة لدى طرفي الخطاب – المخاطِب والمُخاطَب-، وهذه الوحدات التركيبية تعدّ علامات تقوم بالإحالة، وهي غير منفصلة عن فعل التلفظ الذي يقتضي مخاطِباً يتوجه بخطابه إلى المُخاطَب، وذلك في إطار زماني ومكاني محددين، ولكي تتم هذه الإحالة لابدّ من وجود الإشاريات، ويعدّ العالم اللغوي (بيرس) "صاحب تعبيرَي (الإشارة) و(العلامة الإشارية)" (أرمينكو 1986م، ص41)، والمقصود بالإشاريات تعيين الموضوع المراد التحدث عنه سواء أكان شخصاً أم زماناً أم مكاناً، فعلى سبيل المثال: ضمير المتكلم "أنا" يظل مبهماً ما لم يتم إحالته بسياق معين لدى المخاطب، وكذلك الحال مع "الآن" و"هنا"، ونستنتج من هذا أنّ الإشاريات علامات ورموز لغوية ذات طابع اصطلاحي تواضعي كباقي رموز اللغة وعلاماتها(ختام 2016م، ص76-77).

من وظائف اللغة الأساسية التّعيين والإحالة، والإحالة هي العلاقة بين اللغة والواقع، وليست اللغة هي الوسيلة الوحيدة ولكنها تعدّ من أهم وسائلها، لأن الإحالة يمكن وصولها بجارحة من الجوارح (تواصل غير لفظي) (موشلر وريبول 2010م، ص159).

وفي اللغات كلها كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادا تاماً على السياق-ومن ضمنها الإشاريات-، والتغييرات الإشارية هي تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساساً للتواصل المباشر بين الناس وجهاً لوجه، وتظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنّا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم بحسب تعبير لفنسون (نحلة 2002، ص15-17).

فالإشاريات" (Deixis) كلمة يونانية تعني الظهور، فعل الإظهار، وتستعمل للدلالة على التحديد اللغوي لوسائط الوضعية التلفظية" (بافو وسرفاتي 2012م، ص291)، أو هي "فعل يستعمل فيه متكلم أو كاتب، صيغاً لغوية لتمكين مستمع أو قارئ تحديد شيء ما" (يول 2010م، ص39).

ومن أبسط تعريفات الإشاريات: أنها "مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان حيث ينجز الملفوظ الذي يرتبط به معناه ومن ذلك: الآن، هنا، هناك، أنا، أنت، هذا، هذه...وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه" (الزنّاد 1993م، ص116)، وتستعمل التعابير الإشارية بشكل أساس ومتزايد في التفاعل المنطوق وجهاً لوجه، حيث يكون فهم اللفظ يسيراً جداً للحاضرين، غير أنّ الغائب قد يحتاج إلى ترجمة لفهمه. (يول 2010م، ص27).

بيد أن الإشاريات تنماز عن غيرها من الرموز اللغوية بأنها عاجزة عن الدلالة ما لم تكن على صلة بموضوع تمثله، وهو ما يسميه بورس بـ "المؤشر"Index، والمؤشر هو الحركة التي تدل على شيء أو موضوع ما، وفي غياب هذا الشيء أو الموضوع

فالمؤشر لا يدل على أي شيء، وعندها تفقد دلالتها لعدم وجود علاقة بينها وبين ما يراد التحدث عنه (سيرفوني 1998م، ص27)، وهي "من العلامات اللغوية التي لا يتحدّد مرجعها إلاّ في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، على الرغم من ارتباطها بمرجع إلاّ أنّه مرجع غير ثابت" (الشهري 2004م، ص80)،"ولذلك فالإشاريات يجب أن تكون محددة المرجع بتحقيق العلاقة الوجودية بين العلامة وما تدل عليه" (نحلة 2002، ص18)، ولا تتحدد إحالات الإشاريات إلاّ من خلال السياق الذي تُوظف فيه وتتضح أكثر في إطار العلاقة بين المتخاطبين والزمان والمكان، فالضمائر وإشارات الزمان والمكان تعابير تختلف إحالتها حسب ظروف استعمالها (أرمينكو 1986م، ص41)، وتتمتع الإشاريات بخاصية عدم استطاعتها استقبال معنى محدد إلا إذا كانت على علاقة وجودية مع الموضوع الذي تمثله، وبهذا فهي تسهم في طبيعة ما يسميه بيرس بالمؤشر، فالمؤشر هو الحركة التي تدل بوساطتها على شيء -موضوع-ما، وفي غياب الشيء فإن المؤشّر لا يشرك معه شيئاً أبداً، أي أنه لا يدلّ على أيّ شيء، والحركة لا تصبح تحديداً إلاّ إذا كانت على علاقة حقيقية بالموضوع -الشيء- (سيرفوني 1998م، ص28).

والإحالة فعل تداولي لارتباطها بموقف تعاوني معين؛ كونها ترتبط بمخزون المخاطب كما يتصوره المتكلم أثناء التخاطب، وذلك وفق تقدير المتكلم للإمكانات المتوافرة لدى المخاطب للتعرف على الذات المعينة بالإحالة، وهي أيضاً عملية تعاونية -نسبة لمبدأ التعاون الذي حدّده غرايس 1975م-؛ لأنها تستهدف تمكين المخاطب من التعرف على الذات المقصودة، ويتم ذلك عن طريق إمداد المخاطب بكل المعلومات التي يمتلكها عن الذات المقصودة والتي تتيح للمخاطب التعرف عليها من بين مجموعة من الذوات، ولهذا نجدها محكومة بقواعد الحوار "غرايس1975م" وعلى الخصوص بقاعدة "الكم" التي تحرص على إمداد المخاطب بالمعلومات اللازمة للتعرف على الذات المقصودة (المتوكل 2001م، ص138).

والعبارات الإشارية ليست نسبية بالنسبة إلى جميع عناصر سياق التلفظ بل نسبية لعنصر واحد من تلك العناصر، ولكونها تحتل موقعا متميزاً في التواصل اللساني فلا يمكن معالجته إلا عن طريق المفاهيم وأدوات النظرية التداولية (السيساوي 2014م، ص441).

وإنَّ أهم ما يجدر لفت النظر إليه هو "أنّ ظاهرة الإحالة أدخل في التداول منها في الدلالة، إذ إنها ترتبط بالمقام وتحديداً بالمعلومات التي يفترض المتكلم وجودها لدى المخاطب عن المحال عليه حين عملية التواصل" (المتوكل 2010م، ص74.(

ويتضح لنا مما سبق أن الإشاريات لها دور أساس في عملية التواصل ما بين المتكلم والمخاطب؛ لقيامها بالإحالة إلى موضوعات ذات مرجعية معلومة لدى طَرَفي عملية التواصل – المخاطِب والمُخاطَب -، والمرجعية في الخطاب هي عصب الخطاب والضامن لحسن تبليغه (ختام 2016م، ص77-78.(

فالإشاريات تمثل العلاقة القائمة بين المتكلم وما يتكلم عنه في مناسبات معينة، ولذلك فهي تعتمد على مجموعة معينة من العوامل السياقية؛ لأنّ سياق النطق هو الذي يقوم بتحديد الإشارة نفسها (لاينز 1987م، ص243-244).

نستنتج مما سبق أن مهمة الإشاريات ضمن اللغة هي تحديد وتعيين ما يتعلق بالأشخاص والأشياء والأحداث والأنشطة التي نتخاطب بخصوصها وفق زمان ومكان معينَين، وقد يكون لأسباب عدة، منها الحفاظ على سرية الحديث كي لا يفهم من هو حواليهم مقصد الخطاب، أو قد يكون لإيجاز الكلام كي يتطابق مع مقتضى الحال والوقت، أو قد يكون لردع الملل الذي قد يبديه المخاطَب بسبب تكرار الموضوع نفسه أو الشيء ذاته أكثر من مرة، وكل هذا يكون لمراعاة المقام الذي يقتضيه الكلام.

1.2. أنواع الإشاريات

ليست الإشاريات من المباحث المستحدثة في حقل الدراسات اللغوية، لأن الفلاسفة تناولوها في مؤلفاتهم، وكما أنّ النحاة تناولوها أيضاً في مصنفات كثيرة، وعملوا في تقعيدها، وتوضيح خصائصها الصرفية والتركيبية والدلالية، وانشغل بها اللسانيون أيضاً، من أجل توضيح أبعادها المختلفة، ومع كل هذا يمكن القول إنّها لم تحظ بالعناية المطلوبة، مما يجعلنا أبعد عن فهم أبعادها، كما نفتقد النموذجية الملائمة للتعابير الإشارية، فنجد الجهود اللسانية التي تعمقت في القضايا التداولية مبتدئة بالإشاريات، وهذا ما أشار إليه (شارل موريس) في أن البعد الثالث في دراسة السيموزيس يبحث عن العلاقة ما بين العلامات ومؤوليها، وتوصل إلى أن مجال التداولية لا يعدو العناية بضمائر الكلام، وظرفي الزمان والمكان، وقد مهدت دراسته الطريق للدراسات اللسانية اللاحقة التي اهتمت بقضايا التلفظ والملفوظ (ختام 2016م، ص75-ص76).

ولا يمكن الاستغناء عن المكونات الإشارية بأصنافها المتنوعة، لأنها أكثر العناصر والمكونات اللغوية تداولاً في التلفظ اليومي والتعاملات اللغوية (دزه يي 2015م، ص448) و (ع. حسن 2020م، ص28)، والإشاريات تصنف إلى:

1.1.2. الإشاريات الشخصية

وهي الإشاريات الدالّة على المتكلم، أو المخاطب أو الغائب، فالذات المتلفظة، تدل على المرسل في السياق، ولا يمكن تخيُّل خطاب يخلو من الإشاريات الشخصية، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد، فذات المتلفظ يتغير بتغيّر السياق الذي تلفظ فيه، وهذه الذات هي محور التلفّظ في الخطاب تداولياً، وقد عرّفها بعض الباحثين بأنها: "تمثل الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب سواء أكانت متصلة أم منفصلة"، (عبد الحكيم 2008م، ص431)، وممارسة التلفّظ هي التي تدلّ على المرسل في بنية الخطاب العميقة؛ لذلك نجد المتكلم مستنداً في قوة خطابه على معرفة المخاطَب، والمضمرات لا توهم إلاّ بما أحيل إليه (الشهري 2004م، ص82)، ويقول ابن يعيش (ت643هـ) في المضمرات: "فأعرفُ المضمرات المتكلِّمُ؛ لأنّه لا يُوَهِّمك غيره، ثمّ المخاطبُ، والمخاطبُ تِلْوُ المتكلّم في الحضور والمشاهَدةِ" (شرح المفصل للزمخشري 2001م، 2/ص292).

وقد تطرق العرب القدامى إلى دراسة الضمائر، وقد ذكر السكاكي (ت 626هـ) حد الضمير بأنه: "عبارة عن الاسم المتضمن الإشارة إلى المتكلم أو إلى المخاطب أو إلى غيرهما بعد سبق ذكره" (السكاكي 1987م، ص66)، ونستنبط من هذا التعريف للضمير أنّه مقترن بالإشارة أي الإحالة، وهي إحالة تربط السابق باللاحق، ولا تكون إلاّ إلى معروف ومذكور سلفاً؛ لأن الإضمار يظل مقروناً بعلم المخاطب والمتكلم على حد السواء، وهو ما عبرّ عنه سيبويه (ت 180هـ): "وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنّما تضمِر اسما بعد ما تعلم أن مَنْ يُحدَّث قد عرف مَن تعني وما تعني، وأنك تريد شيئا يعلمه" (سيبويه 1988م، 2/ص6)، وهذا يعني أنّ المتكلم يعمد إلى استعمال الضمائر لأغراض معينة، متوافقة مع سياق الكلام، ومعتمدة على معرفة المخاطَب، كي لا يتحول الخطاب إلى لغز (ختام 2016م، ص78).

ومن أوضح العناصر الإشارية الدالة على شخص (Person) ضمائر الحاضر، والتي يقصد بها الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم بذاته، مثل (أنا) أو المتكلم ومعه غيره مثل (نحن)، أو الضمائر الدالة على المخاطب مفرداً أو مثنى أو جمعاً، مذكراً أو مؤنثاً، وضمائر الحاضر هي دوماً عناصر إشارية؛ لأنّ مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستعمل فيه (Levinson 1983م، ص69)، ومما لا شك فيه أنّ الضمير (أنا) و(أنت) ونحوهما فيه دلالة ذاتية على المتكلم والمخاطب، والسياق يكون لازماً لبيان من هو المتكلم ومن هو المخاطب الذي يحيل إليه الضمير (أنا) و(أنت)، وفيما يخص ضمير الغائب فيدخل في الإشاريات إذا كان حرٌّاً -أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي-، فإذا عُرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات (نحلة 2002، ص17-18).

ويرى الأستاذ عباس حسن أنّ "الضمائر كلها لا تخلو من إبهام وغموض سواء أكانت للمتكلم، أم للمخاطب، أم للغائب؛ فلا بد لها من شيء يزيل إبهامها، ويفسر غموضها، فأما ضمير المتكلم والمخاطب فيفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام؛ فهو حاضر يتكلم بنفسه، أو حاضر يكلّمه غيره مباشرة، وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف؛ لأنه غير حاضر ولا مشاهد؛ فلا بد لهذا الضمير من شيء يفسره، ويوضح المراد منه" (النحو الوافي د.ت، 1/ص255)، وما يجب استدراكه هنا هو أن الغائب النحوي لا يشترط أن يكون غائباً في السياق، وهذا ما يميز بين التداولية التي هي دراسة اللغة في الاستعمال والدراسات النحوية، فالغائب النحوي قد يكون حاضراً في السياق، مثلاً، موقف يجمعك مع زيد وسعيد، تنظر إلى سعيد وتقول متحدثاً عن زيد: (هو يكافح)، فالضمير هو وإن كان للغائب لكنه معروف من السياق، وهو حاضر ومشاهد، لأنه غائب نحوياً وليس سياقياً.

ونجد أن "النحاة قد أوجبوا البحث عن الظاهر الذي يفسر المضمر، وبعبارة أخرى تحديد الاسم (المشار إليه، العنصر الإشاري) الذي يقيم علاقة الربط مع الضمير (المحيل/العنصر الإحالي) سواء أكان الربط بين عنصرين على المستوى الداخلي اللغوي، أم عنصر لغوي داخلي وعنصر آخر على المستوى الخارجي خارج اللغة" (بحيري 2005م، ص114)

وتعدّ الإشاريات "طريقة للحديث عن الأشياء، ولا تتطلب منا معرفة كثيرة حول الشيء مثل اسمه أو صفتهِ، ولكنها تتطلب منا فقط معرفة العلاقة التي تربطه بنا في سياق التلفظ" (السيساوي 2014م، ص445).

ومما لا يمكن نسيان ذكره هو أنّ المرسل لا يتلفظ بضمير المتكلّم عندما يبدأ بخطابه لمحادثة المخاطَب؛ لأن "ضمير المتكلم، وضمير المخاطب تفسيرهما المشاهدة" (أ. الأندلسي 1998م، 2/ص941)، و (الشهري 2004م، ص83)، "فضمير المتكلم والمخاطب لا يحيلان إلى مذكور سابق، ويتطلب استعمالها معرفة سابقة بهويته بالنسبة لطرفي الاتصال وإن كان ذلك يتم بصورة مباشرة في الحديث أكثر مما يتم في الكتابة" (دي بوجراند 1998م، ص333).

وقد نجد الاختلاف في استعمال الضمائر وفق معايير معينة، ومنها معيار السن، والبيئة، وغيرهما، كما أنّ هذه المعايير قد تختلف بين سكان المدينة وسكان القرى، وذلك وفق نظرة كل منهم إلى الآخر، فأبناء المدينة يرون المتكلم من الطبقة المتوسطة إذا كان منهم، في حين يراه أبناء القرية من الطبقة العليا، ممّا يحجمون عن استعمال الضمير المخاطب المفرد، وهذا

يعود إلى تأثير العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى تلون نظرة كلّ منهم تجاهه، ويتجاوز غرض الإسناد إلى هذه الأدوات معيار الوظيفة النحوية البحتة إلى المعيار التداولي (الشهري 2004م، ص287-288).

ويشير (جورج يول) إلى أنّ تصنيفات التأشير تتوسع لتضم مؤشرات (Markers) المكانة الاجتماعية، وذلك بحسب مكانة الشخص في المجتمع فمنهم من له مكانة عليا ومنهم من له مكانة دنيا، وتسمى التعابير التي تشير إلى المكانة العليا بالمبُجِلات (Honorifics) (يول 2010م، ص29).

وعند تقسيم الضمائر إلى الشخص الأول "أي المتكلم"، والثاني "أي المخاطَب"، والثالث "أي الغائب"، نجد أنّ ضمائر الشخص الأول "أنا" والثاني "أنت" لهما وضع مختلف عن ضمائر الشخص الثالث "هو"، لأنهما يشكلان مؤشري الوضعية التلفظية، ولأنّ الحوار يدور بينهما، في حين أنّ ضمائر الشخص الثالث تحيل إلى الشخص الذي يدور عنه الكلام، وهو ما يسميه اللساني الفرنسي "إيميل بنفست Emaile Benveniste " بـ "اللا -شخص" (Non-personne) (بافو وسرفاتي 2012م، ص292).

وقد اقترح بنفست تعريفات حول ضمائر الشخص الأول والشخص الثاني، فعرّف الشخص الأول "أنا"، بأنّه الشخص الذي يتلفظ بمجرى الخطاب الراهن الذي يتضمن "أنا"، ونحصل على تعريف مناظر بالنسبة للشخص الثاني "أنت": بأنّه الشخص المخاطب في مجرى الخطاب في الراهن الذي يتضمن المجرى اللغوي "أنت". (بافو وسرفاتي 2012م، ص293).

ومع بساطة الصيغتين (أنا) و(أنت) إلاّ أنّ هناك شدة تعقيد في استعمالهما، بسبب تحول المتكلم في الحوار من (أنا) إلى (أنت) باستمرار (الماشطة والركابي 2018م، ص51)، وعند استعمال هذه المصطلحات التأشيرية، فإنّ الشخص الثالث لا يمثل مساهماً مباشراً في التفاعل ما بين (أنا وأنت)، لأنّه دخيل فسيكون بالضرورة أبعد (More distant)، وذلك لأنّ ضمائر الشخص الثالث قصية بالنسبة للتأشير الشخصي (يول 2010م، ص30).

ونجد عند (جان سيرفوني) في حديثه عن مواجهة ضمير الغائب (هو) لضمير المتكلم (أنا) وضمير المخاطب (أنت)، أنّ ضمير المتكلم والمخاطب –شخصا التبادل الخطابي-يتقابلان تماماً، وإلى حد ما مع ضمير الشخص الثالث المعني بالحديث، وهو الشخص المتحدث عنه، والذي يقوم بدور سلبي فقط في فعل اللغة لكن الأشخاص الثلاثة يشتركون في نقطة واحدة، فهم جميعاً يستخدمون لطرح موضوع الكلام (سيرفوني 1998م، ص29-30).

وفيما يخص الضمائر المستترة في النحو العربي، فهي ضرب من الإشاريات التي تدرك الإحالة عليها من السياق، فلا يتلفظ بها المرسل لدلالة الحال عليها، ويتطلب بعض منها حضور أطراف الخطاب حضوراً عينياً، في الأمر والنهي مثلاً؛ ففعل الأمر ينطوي على الضمير (أنت)، الذي يوجب إليه الخطاب وبالتالي تنوّعت الضمائر بين المستتر وجوباً والمستتر جوازاً (الشهري 2004م، ص83).

ومن النتائج التي توصلت إليها (آن ريبول) فيما يتعلق بالضمائر: (موشلر وريبول 2010م، ص359)

1-يحدّد كلّ من ضميري الشخص الأول والثاني فرداً مفرداً يمكن تعيينه مباشرة من خلال دوره في التواصل، في حين لا يعيّن ضمير الشخص الثالث بنفسه مفرداً ولكنه يعيين عدداً لا متناهياً من الأفراد.

2-يحل ضمير الشخص الأول محل ضمير الشخص الثاني والعكس بالعكس عندما يتبادل المتخاطبان دوريهما.

3-ضمير الشخص الثالث هو الوحيد الذي يمكن أن يستعمل في الدلالة على الجوامد.

ونجد بأنّ ضمائر الشخص الأول والشخص الثاني لا ترد لغير العاقل بخلاف ضمير الشخص الثالث الذي يحمل وروده للعاقل ولغير العاقل، وقد جاء في شرح المفصل: "فأَعرَفُ المضمرات المتكلِّمُ؛ لأنّه لا يُوهمك غيره، ثمّ المخاطبُ، والمخاطبُ تِلْوُ المتكلّم في الحضور والمشاهَدةِ. وأضعفُها تعريفًا كنايةُ الغائب، لأنّه يكون كناية عن معرفةٍ ونكرةٍ حتّى قال بعضُ النحويّين: كنايةُ النكرة نكرةٌ" (ابن يعيش 2001م، 2/ص292-293).

والإشاريات (DEICTQUES) تشكل جزءاً من المرجعيات (DEIXIS)؛ لأنها لا تشير إلا بوجود مرجع ما، فبين (أنا) وبين فرد ما يتحدث عن نفسه في لحظة معينة، تكون العلاقة علاقة حقيقية (RELATION DE FAIT)، وهي العلاقة الناتجة عن لفظ هذا الفرد لكلمة (أنا). (سيرفوني 1998م، ص28).

ويضيف بعض فلاسفة اللغة شرط الصدق (Truth condition) الى مرجعية الضمائر، وقد نبه بيرس إلى أن الإشاريات ينبغي أن تكون محددة المرجع بتحقق العلاقة الوجودية (Existential relation) بين العلامة (Sign) وما تدل عليه (نحلة 2002، ص18).

ويتضح لنا -مما سبق-أنّ الضمائر مكونات لغوية لا محيد عنها لإضفاء بُعدٍ تداوليّ على استعمال اللغة، وأنّها تتحول إلى وحدات معجميّة لا معنى لها إذا عُزلت عن مرجعيّتها الإحالية، لأنّ الضمائر عبارة عن وحدات كلامية لا تشير إلى شخص معين، ولا

ترتبط بمعطىً ما من معطيات التجربة الإنسانية، لأنّها علامة يستعملها المتكلم لإضفاء بُعد تداوليّ على خطابه (ختام 2016م، ص79-80).

والدارس لرسائل النور عامة، ورسالة المعجزات القرآنية على وجه الخصوص يجدها مليئة بالإشاريات التداولية، ففي بداية رسالة (المعجزات القرآنية) نرى توجيهاً خطابياً يعلل فيه النّورسيّ سبب كتابته لهذا الكلمة، إذ يقول: "أرى من الفضول التحري عن برهان وفي اليد معجزة خالدة، القرآن، أتراني أتضايق من إلزام الجاحدين، وفي اليد برهان الحقيقة، القرآن" (النّورسيّ 2011م، ص417)، ويستعمل فيه أسلوباً استفهاميا تعجبياً بقوله "أتراني"، أي يخاطب القارئ الذي يقوم بقراءة نتاجه، وهنا يبقى ضمير المتكلم عائداً للنورسي، ولكن ضمير المخاطَب يتغيّر بتغير القارئ، فيبدأ بما يراه بضمير مستتر يعود إلى "أنا" دون توجيه كلامه إلى شخص معين، ومن ثم يخاطب الشخص الثاني باستعماله الضمير المتصل (ي) العائد إليه والتي تدل على "أنا"، بعد أن أبدى بما يراه في مخيلته ليمهد الكلام للتحدي الذي يخوض فيه، ويريد أن يثبت أنّ القرآن معجزة للجاحدين به، والذين يمثلون الشخص الثالث الذي يدور الحوار بسببهم، لجحودهم عن كلام الله سبحانه وتعالى.

ثم يقول: "لقد عزمنا في بداية هذه الكلمة على أن نكتب خمس شعل، ولكن في أواخر الشعلة الأولى – قبل وضع الحروف الجديدة بشهرين -اضطررنا إلى الإسراع في الكتابة وطبعها بالحروف القديمة، حتى كنا نكتب -في بعض الأيام عشرين أو ثلاثين صحيفة في غضون ساعتين أو ثلاث ساعات، لذا اكتفينا بثلاث شعل فكتبناها مجمله مختصرة، وتركنا الآن شعلتين، فآمل من إخواني الكرام أن ينظروا بعين الإنصاف والمسامحة إلى ما كان مني من تقصيرات ونقائص وإشكالات وأخطاء." (النّورسيّ 2011م، ص417)، فنجد النّورسيّ يتحدث بضمير (نا) المتكلمين ويخاطب فيه ضمير الجمع والذي يقصد به (المسلمون كافة) أثناء شروعه في كتابه ما ينوي عرضه للمخاطب، ونجد فيه انسجاماً لكونه يخاطب صيغة الجمع بالجمع، ولكنّه حين أشار إلى التقصيرات والنقص والإشكالات والأخطاء استعمل ضمير المتكلم (أنا)، وذلك تواضعاً منه كي لا تنسب هذه الأخطاء إلى دين الإسلام وعامة المسلمين.

ومن ثمّ يتناول النّورسيّ عرض الأسباب التي كتب بسببها هذه الكلمة وسبب تناوله للآيات المذكورة فيها والتي لخصها في ثلاث نقاط، وهي "إمّا موضع انتقاد الملحدين، أو أصابهَا اعتراض أهل العلوم الحديثة، أو مسَّتها شبهات شياطين الجن والإنس وأوهامهُم" (النّورسيّ 2011م، ص418)، ونجد أنّ النّورسيّ يخاطب القارئ بذكر الشخص الثالث الذي يدور الخطاب حول الرد عليهم، ثم يقول: "ولقد تناولت هذه «الكلمة الخامسة والعشرون» تلك الآيات وبيَّنت حقائقهَا ونكاتها الدقيقة على أفضل وجه، بحيث إنّ ما ظنّه أهل الإلحاد والعلوم من نقاط ضعف ومدار نقص أثبتتها الرسالة بقواعدها العلمية على أنها لمعات إعجاز ومنابع كمال بلاغة القرآن" (النّورسيّ 2011م، ص418)، وهنا يقوم النّورسيّ بتحويل ما يراه أهل الإلحاد والعلوم كنقاط ضعف ونقص في القران الكريم إلى نقاط إعجاز تعجز قدرات الإنسان بالإتيان بمثلها.

وفي تعريفه للقرآن الكريم يقول النّورسيّ سائلاً: "القرآن ما هو؟ وما تعريفه؟" (النّورسيّ 2011م، ص420) ، فيكون سؤاله في ماهيته ومن ثم في تعريفه، وذلك لإتاحة المجال لعرض عظمة القرآن الكريم قبل تعريفه كشيء، وتم ذلك -أيضاً- بالاستعانة بضمير الغائب المنفصل "هو"، ثمَّ استعان بضمير "الهاء" المتصل بكلمة تعريفه لكي يكون التعريف مختصا بالقرآن الكريم ككل وليس جزءاً منه.

وفي الإجابة عن سؤاله الذي طرحه مسبقاً يقوم النّورسيّ ببيان ماهية القرآن الكريم وتعريفه بالاستعانة بضمير الغائب "هو" بعد أن أشار إليه في بداية حديثه، فيبدأ في كل تعريف للقرآن الكريم بضمير الغائب "هو"، بسبب سبق ذكره بشكل استفهامي في بداية حديثه مما أدى إلى بيان الإحالة مع عدم الإطناب في تكرار اسمه أثناء تعريفه له، حيث يقول: "هو الترجمة الأزلية لكتاب الكائنات الكبير.... وكذا هو القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه" (النّورسيّ 2011م، ص420).

وفي حديثه عن المثال الأول حول نظم القرآن وجزالته الخارقة، يستعين النّورسيّ بضمير المخاطب المستتر في فعل الأمر "أنت" حين يقول: "فتأمل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة، فيعُين كل الآخر، فكل يمد المقصد بجهته الخاصة" (النّورسيّ 2011م، ص426)، فبعد أن أتمّ حديثه عن بيان التأثير الشديد لأقلّه في الآية الكريمة: ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 46]، يوجّه النّورسيّ خطابه إلى عقل المخاطب ومنطقه للتفكّر والتمعّن في نظم القرآن الكريم وجزالته الخارقة في آية قرآنية كلّ لفظ فيها يدلّ على القلّة والتقليل، وردّة فعل الظالمين التي تدل على شدة تأثير هذا العذاب وإن كان من أقلّ ما سيصيبهم منها، فبعد أنْ قام النّورسيّ بتحليل الآية الكريمة توجّه إلى المخاطب للتمعّن والتفكّر في نظم القرآن وجزالته، وذلك بالاستعانة بالضمير المستتر وجوباً في فعل الأمر "فتأمّل" في قوله: "إذا كان العذاب

شديداً ومؤثراً مع هذه القلة، فكيف يكون هول العقاب الإلهي؟ فتأمّل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة، فيعُين كلٌّ الآخر، فكل يمدُّ المقصد بجهته الخاصة". (النّورسيّ 2011م، ص426)

ونجد أنَّ النّورسيّ يوجه خطابه بالاستعانة بأسلوب الطلب ويوجّه خطابَهُ إلى المخاطَب "أنت" بضمير المستتر الموجود في فعل الأمر "فتصورَّ" لكون خطابه خطاباً دينياً يُقْصَد به إقناع المخاطب، فمثلاً في قوله: "فتصورَّ نفسكَ قبل مجيء نور القرآن، في ذلك العصر الجاهلي، وفي صحراء البداوة والجهل، فبينما تجد كل شيء قد أسدل عليه ستار الغفلة وغشيهَ ظلام الجهل ولُفّ بغلاف الجمود والطبيعة، إذا بك تشاهد بصدى قوله تعالى:﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الحديد: 1] أو ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: 44]" (النّورسيّ 2011م، ص429)، نجد النّورسيّ يطلب من المخاطب تصور نفسه في زمن الجاهلية كي يصل إلى مستوى إدراك الآية الكريمة في زمان ومكان نزولها مع التفكّر في مستوى تفكير أصحاب الجاهلية الذين كانوا لا يتفكرون فيما هو مخلوق حولهم في صحراء قاحلة وجهل كالظلام دامس، وهذا الأسلوب من أساليب الخطاب يكون فيه محور الخطاب نحو ضمير المخاطب "أنت" بغية إقناعه بما يدور في ذهن المتكلم.

ونجد الأسلوب الخطابي نفسه في أمثلة أخرى منها قوله: "انظر إلى هذا المثال الذي أثبت في الكلمة الخامسة والعشرون وهو قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: 33-36]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: 5]، استمعْ لهذه الآيات وتدبر ما تقول؟" (النّورسيّ 2011م، ص429).

ونجد في خطاب النّورسيّ توجيهاً خطابيّاً آخر، فهو يحدّث القارئ عن الخطاب الإلهي، ويحلّل الخطاب القرآني ويوجّه الخطاب إلى الشّخص المخاطَب في الآيات القرآنية، فمثلاً في تحليله للآية السابقة من سورة الرّحمن نجد قولَه في خطاب الإنس والجنّ: "فأنتم بطغيانكم هذا إنما تبارزون حاكماً عظيماً جليلاً له جنود مطيعون مهيبون يستطيعون أن يرجموا بقذائف كالجبال، حتى شياطينكم لو تحملت.. وأنتم بكفرانكم هذا تتمردون في مملكة مالكٍ عظيم جليل ...." (النّورسيّ 2011م، ص429-430)، فنجد في هذا الخطاب وجود بُعْدٍ رابع، فالبُعْدُ الأوّل هو المتكلم " النّورسيّ "، والبُعْد الثاني هو المخاطب "القارئ"، والبُعْد الثالث الذي يدور الخطاب حوله هو "الخطاب القرآني"، والبُعْد الرابع هو الشّخص الثاني الذي تم توجيه الخطاب القرآني إليه، وهو نفسه الذي يوجّه إليه النّورسيّ خطابه في تحليله للخطاب القرآني ويمثل المخاطب لدى الشخص الثالث أي الـ"أنت" الذي يخاطبه الـ"هو".

وقد استعان النّورسيّ بالضمير المنفصل "هو" للغائب في الإشارة إلى القرآن الكريم لكونه محور رسالته التي قام بكتابتها للإشارة إليه، ومنه قوله: " لقد أشرنا إلى نحو أربعين وجها من وجوه إعجاز لا تحدّ للقرآن الحكيم الذي هو منبع المعجزات والمعجزة الكبرى للرسول الكريم." (النّورسيّ 2011م، ص419)، فنجد أنّه يشير إلى أربعين وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ومن ثمَّ يقوم بوصف القرآن الكريم بأنّه منبع المعجزات والمعجزة الكبرى للرسول الكريم بالاستعانة بضمير الغائب "هو".

وعند عرض التحدّي الذي تحدّاه القرآن الكريم للعرب بأنْ يأتوا بسورة من مثله، رفع النّورسيّ من شأن العرب بذكره المعلَّقات السّبع، إذ قال: "فكانت «المعلقات السبع» التي هي رمز فخرهم" (النّورسيّ 2011م، ص424)، فآستعان بضمير الغائب "هي" لبيان أن المعلَّقات السّبع كانتْ رمزاً لفخر العرب لفصاحتهم وبلاغتهم الشديدة، ومن ثمَّ يقول النّورسيّ : "ففي مثل هذا الوقت الذي بلغت فيه البلاغة قمة مجدها، ومرغوب فيها إلى هذا الحد، نزل القرآن الكريم بمثل ما كانت معجزة سيدنا موسى وعيسى عليها السلام من جنس ما كان رائجا في زمانها، وهو السحر والطب - نزل في هذا الوقت متحديا ببلاغته بلاغة عصره وكل العصور التالية" (النّورسيّ 2011م، ص424)، فيشبّه معجزة بلاغة القرآن الكريم بمعجزة سيّدنا موسى وعيسى (عليهما السلام) الذي كان في زمانهما لبيان عظمة بلاغة القرآن الكريم الذي جعل العرب عاجزين بالإتيان بمثله أو حتى بسورة منه من عندهم.

وقد بيّن النّورسيّ بالاستعانة بضمير المثنى "هما" للغائب لعرض سبب معارضة العرب للقرآن الكريم وحصر الأسباب في نقطتين، حيث يقول: "ثُمَّ إنَّ هناك دافعين في غاية القوة المعارضة القرآن وإتيان مثيله وهما: الأول: حرّض الاعداء على معارضته. الثاني: شغف الأصدقاء على تقليده." (النّورسيّ 2011م، ص424-ص425).

وفي حديث النّورسيّ عن الحروف المتقطّعة في بداية سور القرآن الكريم يتعيّن بضمير الغائب "هي" لبيان ماهية هذه الحروف، حيث يقول: "فهذه الحروف المقطّعة التي في أوائل السّور والتي هي شفرات ورموز إلهية تبيّن خمساً أو ستّاً من أسرار لمعات إعجاز أخرى، بلْ إنَّ علماء علم أسرار الحروف والمحقّقين من الأولياء قد استخرجوا من هذه المقطّعات أسراراً كثيرةً جداً،

ووجدوا من الحقائق الجليلة ما يثبت لديهم أنّ المقطَّعات معجزة باهرة بحد ذاتها. أما نحن فلن نفتح ذلك الباب لأننا لسنا أهلا لأسرارهم، زد على ذلك لا نستطيع أن نثبتها إثباتا يكون مشهودا لدى الجميع. وإنّما نكتفي بالإحالة إلى ما في «إشارات الإعجاز» من خمس أو ستّ لمعات إعجاز تخص المقطعات." (النّورسيّ 2011م، ص431)

وقد استعان النّورسيّ بالضمائر المتصلة في حديثه أيضاً، ومنها "واو الجماعة" و "هم" وذلك لتجنب الإطناب في حديثه لكون رسالته هي رسالة إقناع للمخاطب للاقتناع بمعجزة القرآن الكريم، ولهذا نجد إحالة الضمائر إلى ما يسبقها كثيرةً، ومنه قوله: "إن أكثر سكان جزيرة العرب كانوا في ذلك الوقت أميين، لذا كانوا يحفظون مفاخرهم ووقائعهم التاريخية وأمثالهم وحكمهم ومحاسن أخلاقهم في شعرهم وبليغ كلامهم المتناقل شفاها، بدلا من الكتابة" (النّورسيّ 2011م، ص423)، فيشير بواو الجماعة والضمير المتصل "هم" إلى الإشارة لسكان الجزيرة العربية.

ومن ثم يستمر النّورسيّ على نفس المنوال في بيان صفات العرب آنذاك بالاستعانة بضمير "هم" للغائب حيث يقول: "فكان الكلام الحكيم ذو المغزى يستقر في الأذهان ويتناقله الخلف عن السلف. فهذه الحاجة الفطرية فيهم دفعتهم إلى أن يكون أرغب متاع في أسواقهم وأكثره رواجا هو الفصاحة والبلاغة" (النّورسيّ 2011م، ص423).

2.1.2. الإشاريات الزمانية

ممّا لا شكّ فيه إنّ الزمن يحتلّ مكانة مهمة في دراسة الإشاريات، سواء أكان مختصاً بزمن الفعل أم بظرف الزمان، وهي دراسة تعمق فيها بنفيست في كتابه (مسائل في اللسانيات العامة)، وخاصة في دراسته حول (علاقات الزمان في الفعل الفرنسي) (Les relations de temps dans le verbe francais)، إذ توصل إلى أنّ دلالة الزمن لا تتحدد بزمن الفعل أو الظرف في حد ذاته، وإنّما بزمن التلفظ، فظرف الزمان مثل (أمس) يدلّ على اليوم الذي سبق يوم إنتاج الملفوظ، وكذلك فإنّ (غداً) تدلّ على اليوم الذي يلي زمن الحدث، وبهذا يتضح لنا أنّ الزمن بقدر ما هو عنصر ملازم لكلّ لغة وحدث لغوي، بقدر ما تتّصل دلالته بالخطاب والاستعمال (ختام 2016م، ص80-81).

فالإشاريات الزمانية كلمات تدل على زمان يحدّده السياق مقارنة بزمان التكلم؛ لأنّ زمان التكلم هو مركز الإشارة (Deictic center) الزمانية في الكلام، فزمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية يزيل الالتباس على السامع أو القارئ، فلو قلنا: (سنلتقي في الساعة العاشرة)، فزمان التكلم وسياقه هما اللذان يحددان المقصود بالساعة العاشرة صباحاً أو مساءً من هذا اليوم أو من يوم يليه (نحلة 2002، ص19)، وقد جاء تعريفها بأنها: "تمثلها ظروف الزمان بصورة عامة، فإذا لم يعرف الزمن التبس الأمر على المتلقين، وقد تدلّ العناصر الإشارية على الزمان الكوني والنحوي" (عبد الحكيم 2008م، ص431).

وفي منظور جان سيرفوني إنَّ زمن الملفوظية –الزمن الذي يتحدّد فيه الحدث- هو زمن إنتاج الملفوظ، يمكن الإشارة إليه داخل الملفوظ نفسه، ومن بين الأمثلة التي تناولها (الآن، اليوم)، لكونهما إشاريات حالها حال الإشاريات الشخصية (أنا، أنت)، والمرجع الزمني (Deixis temporelle) لا يتحدد بالأشكال التيّ تحيل إلى حاضر الملفوظية؛ لأنها تتضمّن أيضاً الأشكال التي تسم الماضي والمستقبل ولا يتحّدد مرجعها إلا بالنسبة لذلك الحاضر، فظرف الزمان (أمسِ) في السّياق اللغوي يدلّ على اليوم الذي سبق اليوم الذي أنتج فيه الخطاب في كلّ مرّة يتم ذكرها، و(غداً) تشير إلى اليوم الذي يلي يوم الخطاب (الملفوظية 1998م، ص37).

وممّا يجب أنْ ننوّه إليه هو وجود أنظمة موسعة من الإشارة غير الزمانية (Non-temporal reference)، ومنها وقت التقويم وتوقيت الساعة، وصيغ الإشارة الزمانية، إذ يتم تعلمها في مرحلة تتلو استعمال تعابير تأشيرية مثل:(البارحة، غداً، اليوم، الليلة، الأسبوع القادم، الأسبوع الماضي،...الخ)، وتعتمد هذه التعابير في تفسيرها على معرفة وقت الكلام ذي العلاقة، فالعلم بوقت الكلام هو الذي يفسر معنى التأشير الزماني (يول 2010م، ص34).

وقد يؤدي عدم معرفة مرجع الزمان إلى مشكلة لدى القارئ، فمثلا ذكر عادة معينة في زمن الحرب دون الإحالة الى وقت الحرب يؤدي إلى تساؤل القارئ وتتبعه لزمن الكتابة بتتبع تأريخي لمعرفة زمن نشر الكتاب لفهم الحرب المراد منه (نحلة 2002، ص20)، ولذلك فالمرجع في التلفظ هي لحظة التلفظ، ولهذا يجب ربط الزمن بالفعل كمهمة أولى ومن ثم ربط الزمن بالفاعل بسبب العلاقة القوية بين الفعل وفاعله كمهمة ثانية في الخطاب، ولكي نقوم بتأويل أي خطاب بطريقة صحيحة ونحدد مرجع الأدوات الإشارية لابدَّ من إدراك لحظة التلفظ؛ لأنّه المرجع الذي يُحال إليه لتأويل مكونات التلفظ اللغوي وفق معرفتها (الشهري 2004م، ص83).

والإحالة إلى زمان قد تستغرق المدة الزمانية كلها كأنْ يقال: اليومُ الخميسُ، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان كأن يقال ضرب خالدٌ عمراً يوم الخميس، وهذا الضرب لا يستغرق يوم الخميس بأكمله بل يقع في جزء منه، وقد يتسع مدى بعض

العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدد له عرفاً إلى زمان أوسع فكلمة اليوم في قولنا شباب اليوم تشمل العصر الذي نعيش فيه، ولا تتحدد بيوم مدته أربع وعشرون ساعة، وكل ذلك موكول إلى السياق الذي تستخدم فيه هذه العناصر الإشارية إلى الزمان (نحلة 2002، ص20)، وكذلك نجد أنّ الأداة الإشارية (الآن) مرجعها هو لحظة تلفظها مع صعوبة تحديد هذه اللحظة بشكل دقيق، لأنها يمكن أن تقتصر دلالتها على لحظة التلفظ أو قد تمتد لسنوات عدة، وذلك من خلال نقل المركز الإشاري إلى الإطار الزمني المكاني الذي يطلع فيه السامع أو القارئ على النص (الشهري 2004م، ص84) و (براون و يول 1997م، ص64).

ومما يجب أن نشير إليه هو أنّ العناصر الإشارية قد تكون دالة على الزمان الكوني الذي يفترض سلفاً تقسيمه إلى فصول وسنوات وأشهر وأيام وساعات ... الخ، وقد تكون دالةً على الزمن النحوي (Tense)، وقد يتطابقان في سياق الكلام، وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمان الكوني فتستخدم صيغة الحال للدلالة على المضي، وصيغة المضي للدلالة على الاستقبال فينشأ بينهما صراع لا يحله إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة، فالزمن النحوي لا يطابق الزمان الكوني في كثير من أنواع الاستعمال (نحلة 2002، ص22).

ونجد بأن الأساس النفسي للتأشير الزماني مشابه لأساس التأشير المكاني، بحيث يمكننا معاملة الأحداث الزمانية كأشياء قادمة نحونا –إلى مجال رؤيتنا-أو مبتعدة عنّا –خارج مجال رؤيتنا- (يول 2010م، ص35).

ويلحظ بعض الباحثين أن بعض استعمالات اللغة لا ينفك عن الإشارة الزمانية كبعض أنواع التحيات مثل: (صباح الخير)، فلا تقال إلا في الصباح، وتقع المفارقة (Irony) إذا قالها أحدهم في المساء مثلاً، وليس هذا مما تضبطه قواعد اللغة بل أعراف الاستعمال (نحلة 2002، ص22).

ومن الإشاريات الزمانية التي نجدها في رسالة المعجزات القرآنية للنّورسيّ ما ورد في قوله: "لقد عزمنا في بداية هذه الكلمة على أن نكتب خمس شعُلَ، ولكن في أواخر الشعلة الأولى - قبل وضع الحروف الجديدة بشهرين اضطررنا إلى الإسراع في الكتابة لطبعها بالحروف القديمة، حتى كنا نكتب - في بعض الأيام- عشرين أو ثلاثين صحيفة في غضون ساعتين أو ثالث ساعات، لذا اكتفينا بثالث شعُلَ فكتبناها مجملة مختصرة، وتركنا الآن شعُلتين" (النّورسيّ 2011م، ص417)، نجد الإشارة الزمانية قبل وضع الحروف الجديد بشهرين، فهذان الشهران الذان يشير إليهما النّورسيّ يختصان بزمنه الذي كان يعيش فيه ويكتب فيه رسالة المعجزات القرآنية، بحيث تم استبدال الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية وحظر استعمال الحروف العربية في 1928/11/23م (النّورسيّ 2011م، ص417).

ومن الأمثلة الأخرى للإشاريات الزمانية ما استدل به النّورسيّ من قوله تعالى:﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 26-27]، حيث يقول النّورسيّ : "هذه الآية تبين بأسلوب عالٍ رفيع ما في بني الإنسان من شؤون إلهية، وما في تعاقب الليل والنهار من تجلّيات إلهية، وما في فصول السنة من تصرفات ربانية" (النّورسيّ 2011م، ص432)حيث يشير إلى الليل والنهار وفصول السنة في كل الأزمنة الكونية لاحتوائها لتغييرات متسلسلة تبين عظمة الله سبحانه وتعالى في خلقه.

ويقول النّورسيّ: "بهذه البلاغة الخارقة تحدي القرآن الكريم -منذ ألف وثلاث مئة من السنين -أذكى بلغاء بني آدم وأبرع خطبائهم وأعظم علمائهم، فيما عارضوه، وما حاروا ببنت شفة، مع شدة تحديه إياهم، بل خضعت رقابهم بذل، ونكسوا رؤوسهم بهوان، مع أن من بلغائهم من يناطح السحاب بغروره." (النّورسيّ 2011م، ص423)، فنجد إشارته إلى الزمان رقمياً في قوله: منذ ألف وثلاث مئة من السنين، وهذا التأريخ هو عُمر القرآن الكريم في زمانه الذي كتب فيه رسالته، وحين نقرأ هذا التأريخ نجده قد تغيّر في يومنا هذا ونقول اليوم: منذ ألف وأربع مئة من السنين.

ويقول النّورسيّ: "إن أكثر سكان جزيرة العرب كانوا في ذلك الوقت أميين" (النّورسيّ 2011م، ص423)، ويقول: "ففي مثل هذا الوقت الذي بلغت فيه البلاغة قمة مجدها " (النّورسيّ 2011م، ص424)، فإشارته إلى (ذلك الوقت) أي قبل نزول القرآن الكريم وعصر ما قبل الإسلام، فباستعماله لهذه العبارة يدرك المُخاطَب الزمان الذي يقصده النّورسيّ، وعن طريق اسم الإشارة وكلمة الوقت حدد زماناً معيناً، ويتضح لنا من قول النّورسيّ أن في عصر ما قبل الإسلام مع كثرة الأمية إلّا أن البلاغة كان في ذروتها لكون البلاغة فن استعمال اللغة على ألسنتهم وكيفية تداولهم للكلام.

3.1.2. الإشاريات المكانية

تعدّ الإشاريات المكانية نظيرة للإشاريات الزمنية، فهي لا تحمل دلالتها في ذاتها؛ بل إنّ معناها يتحدّد بسياق التلفّظ، فمثلاً لوقلنا (أنا جالسٌ قرب المنزل) يظهر أن ظرف المكان (قرب المنزل) لا قيمة له إلاّ في علاقته بمكان التلفظ، وبذلك لو غير

المتكلم مكانه وابتعد عن موضع جلوسه السابق، أصبح ظرف المكان مجرداً من معناه، لذلك فإنّ تحديد المرجعية المكانية تفرض على المتكلم مراعاة سياق إنتاج الخطاب (ختام 2016م، ص81).

وتشير الإشاريات المكانية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو وجهة (نحلة 2002، ص21)، والغرض الأساس من إدراك مكان المتكلم هو بلوغ قصد المتكلم؛ لأنّ الكلام "ليس متعامِلاً فحسب مع عنصر المكان وإنّما حبيس في سياجه" (المسدّي 1986م، ص248)، فلا يمكن فصل المتكلم عن المكان عند تلفظه بالخطاب، وهو الأمر الذي يمنح الإشاريات المكانية مساهمة مهمة في الخطاب، وتختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الخطاب، وتقاس أهمية التحديد الكلامي بصورة عامة انطلاقاً من الحقيقة القائلة إنّ هناك طريقتان أساسيتان للإشارة إلى الأشياء، هما: إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى، ومعرفة موقع المتكلم يلتزم معرفة مكان التلفظ، واتجاه المتكلم كي يتم رفع اللبس أثناء استعمال الإشاريات لدى المتكلم من دون دقة في الخطاب، وقد يلجأ المخاطب إلى افتراض مكان المتكلم لرفع هذا اللبس، أو قد يلجأ المتكلم لإضافة مضاف إليه لظرف المكان لرفع اللبس عن خطابه (الشهري 2004م، ص84-85).

وجاء عند بعض الباحثين أنّ الإشاريات المكانية "تمثلها بصورة عامة ظروف المكان ويعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم، وقت التكلّم أو على مكان آخر معروف للخطاب أو للمخاطب والسامع" (عبد الحكيم 2008م، ص431)، وأكثر الإشاريات المكانية وضوحاً هي كلمات الإشارة، مثل: (هذا، ذاك) للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم، وكذلك (هنا، هناك) وهما ظرفا مكان تحملان معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم، وسائر ظروف المكان مثل (فوق، تحت، أمام، خلف،... الخ)، فهي كلها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه، وفلاسفة اللغة يميلون إلى تمييز كلمات الإشارة إلى المكان عن ظروف المكان، واعتبارهما نوعان من أنواع الإشارة أمّا اللغويون فيميلون إلى دمجهما معاً، وجعلهما صنفاً واحداً يشار به إلى المكان، ونجد أنّ للتقابل الإشاري أثراً حاسماً في إدراك بعض الأفعال المستعملة بشكل شائع، مثل: (يأتي، يذهب)، فالفعل يأتي يتضمن الحركة نحو المتكلم، والفعل يذهب يتضمن الحركة من المتكلم على غيره (نحلة 2002، ص22-23).

ويرى جورج يول أنّ الأساس التداولي الحقيقي للإشارة إلى المكان قد يكون تباعداً نفسياً (Psychological distance)، بحيث يميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة مادياً على أنها بعيدة نفسياً، ومثال ذلك قولنا: (ذلك الرجل هناك)، ومع هذا قد يرغب المتكلم في جعل الشيء قريباً مادياً، مثل قولنا: (عطر استنشقه) بعيداً نفسياً بقوله: (لا أُحب ذلك -العطر-). وفقاً لهذا التحليل فإن كلمة (ذلك) لا تملك معنى دلالياً ثابتاً ولكنها تشبع بمعنى ما في سياق المتكلم (التداولية 2010م، ص33).

ويلفت بعض الباحثين النظر إلى أن عناصر الإشارة إلى المكان قد تنتقل للإشارة إلى ما يسمونه المسافة العاطفية (Emotional distance) وتسمى عندئذ الإشارة الوجدانية (Empathic deixis)، وهو قريب مما أسماه علماء المعاني (التحقير بالقرب)، نحو قوله تعالى:﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾[الأنبياء: 36]، و(التعظيم بالبعد) كقوله تعالى:﴿ الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ [البقرة: 1-2] (نحلة 2002، ص23).

ومن أمثلة الإشاريات المكانية التي استعان بها النّورسيّ في رسالة المعجزات القرآنية ما جاء في قوله: " إن القرآن الكريم، كتاب سماوي يتضمن إجمالا كتب جميع الأنبياء المختلفة عصورهم، ورسائل جميع الأولياء المختلفة مشاربهم، وآثار جميع الأصفياء المختلفة مسالكهم.. جهاته الست مشرقة ساطعة نقية من ظلمات الأوهام، طاهرة من شائبة الشبهات؛ إذ نقطه استناده: الوحي السماوي والكلام الأزلي باليقين.. هذه وغايته: السعادة الأبدية بالمشاهدة .. محتواه: هداية خالصة بالبداهة.. أعلاه: أنوار الإيمان بالضرورة.. أسفله: الدليل والبرهان بعلم اليقين.. يمينه: تسليم القلب والوجدان بالتجربة .. يساره: تسخير العقل والإذعان بعين اليقين.. ثمره: رحم الرحمن ودار الجنان بحق اليقين.. مقامه: قبول الملك والإنس والجان بالحدس الصادق." (النّورسيّ 2011م، ص422)، فنجد النّورسيّ يشبه القرآن الكريم كبؤرة أو مركز للهداية، ويستعين بالأعلى والأسفل واليمين واليسار للقرآن الكريم ليكون لدى المخاطب صورة عقلية لفهم واقتناع أسهل ومبسط للوصول إلى مبتغاه الذي هو إقناع المخاطب بمعجزة القرآن الكريم، واستعان أيضا بأسماء الأماكن والتي هي "نقطة استناده، ومحتواه، ومقامه" وكل ذلك لخلق الصورة الكاملة لدى المخاطب بغية إقناعه برسالته التي يريد إيصالها إليه.

ومن الأمثلة الأخرى للإشاريات المكانية ما استدل به النّورسيّ في بيان قوله تعالى:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: 26-27]، إذ يقول: "هذه الآية تبين بأسلوب عال رفيع ما في بني الإنسان من شؤون إلهية، وما في تعاقب الليل والنهار من تجليات إلهية، وما في فصول السنة من تصرفات ربانية، وما في الحياة والممات والحشر والنشر الدنيوي على وجه الأرض من إجراءات ربانية.. هذا الأسلوب عالي وبديع إلى حد يسخر عقول أهل النظر. وحيث إن هذا الأسلوب العالي ساطع يمكن رؤيته بأدنى نظر فلا نفتح الآن هذا الكنز." (النّورسيّ 2011م، ص432)، حيث يستعين بأسماء الأماكن ومنها "الحشر والأرض"، فالحشر اسم مشترك للمكان والزمان –وهو أقرب للزمان-في آن واحد من علم الغيب الذي اطلعنا عليه الله -سبحانه وتعالى-، والأرض اسم مكان واقعي نعيش عليه، بيد أن النّورسيّ قدم اسم المكان الغيبي على الواقعي لبيان أن اسم المكان الغيبي مصدق عنده أكثر من اسم المكان الواقعي الذي يعيش عليه.

وفي تفسيره للآية الكريمة:﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 33-36]، يقول النّورسيّ "فهيأً اخرجوا من حدود ملْكي وسلطاني إن استطعتم!" (النّورسيّ 2011م، ص429)، نجد الإشارة منه إلى حدود الملك والسلطان والتي تشمل السموات والأرض والتي لا يمكن لا للجنّ ولا للإنس أن ينفذوا منها إلّا بسلطانه –سبحانه وتعالى-، فحدود الملك والسلطان شيء لا متناهي وقد أشار إليه النّورسيّ لكون حدود ملكه وسلطانه – سبحانه وتعالى-هو الكون كله وهذه الحدود غير معروفة أصلا كي تم النفوذ منها.

4.1.2. الإشاريات الاجتماعية

وهي تراكيب وألفاظ تستعمل للإشارة إلى العلاقة الاجتماعية ما بين المتكلم والمخاطب، وذلك لبيان نوعية العلاقة ما بينهما، هل هي علاقة رسمية (Formal) أم علاقة ألفة ومودة (Intimacy)، ومما لا شك فيه هو أنّ العلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل (Honorifics)، وذلك في مخاطبة الأكبر سناً ومقاماً مقارنة بالمتكلم، والتي نجدها في اللغة العربية في استخدام الضمير المنفصل (أنتم) للمفرد المخاطب، ونحن للمفرد المعظم نفسه، وتشمل الألقاب مثل فخامة الرئيس وجلالة الملك وسموّ الأمير وما شابه ذلك، وتشمل أيضاً السيد والسيدة والآنسة، وحضرتك وسيادتك وسعادتك، ومنها ما يقتصر استعماله على الرجال فقط مثل معالي الباشا، ومنها ما يقتصر استعماله على النساء فقط مثل الهانم، بيد أنّ الاستعمال غير الرسمي لا يتم تقيده بهذه القيود، ومنها النداء بالاسم المجرد أو اسم التدليل، وينطبق ذلك أيضاً على عبارات إلقاء التحية والتي تندرج من الرسمية إلى غير الرسمية، مثل: صباح الخير، صباح الفل، صباح العسل ...الخ (نحلة 2002، ص25-26).

ونجد أيضاً ظلالاً للإشاريات الاجتماعية في دلالة استخدام بعض الألفاظ في اللغة العربية، ومنها (حامل، حبلى)، فالأولى راقية مؤدبة، والثانية مبتذلة، وقد اقتصر القرآن الكريم على استعمال الأولى، ومنها أيضاً: (عقيلته، حرمه، زوجته)، فالأولى رسمية لا تستخدم إلا مع كبار الشخصيات، والثانية أقل رسمية، والثالثة عربية فصيحة، ينظر (عمر 1998م، ص228) و (نحلة 2002، ص26).

ومن أمثلة الإشاريات الاجتماعية التي جاءت في رسالة المعجزات القرآنية للنورسي قوله: "لقد أشرنا إلى نحو أربعين وجها من وجوه إعجاز لا تحدّ للقرآن الحكيم" (النّورسيّ 2011م، ص419)، وقوله: "فهذه الحروف المقطعة التي في أوائل السور والتي هي شفرات ورموز إلهية تبين خمسا أو ستا من أسرار لمعات إعجاز أخرى، بل إن علماء علم أسرار الحروف والمحققين من الأولياء قد استخرجوا من هذه المقطعات أسرارا كثيرة جدا، ووجدوا من الحقائق الجليلة ما يثبت لديهم أن المقطعات معجزة باهرة بحد ذاتها. أما نحن فلن نفتح ذلك الباب لأننا لسنا أهلا لأسرارهم، زد على ذلك لا نستطيع أن نثبتها إثباتا يكون مشهودا لدى الجميع. وإنما نكتفي بالإحالة إلى ما في «إشارات الإعجاز» من خمس أو ست لمعات إعجاز تخص المقطعات" (النّورسيّ 2011م، ص431)، بحيث يستعين النّورسيّ بضمير "نحن" للمفرد المعظم لنفسه في حديثه عن نفسه، والتحدث بالفعل المضارع المسبوق بنون الجماعة ومنها "نفتح، لا نستطيع، نكتفي"، وسبب ذلك يعود لرؤيته التي يرى فيها على عاتقه أن يكون إماماً لزمانه ليقوم بواجبه الذي هو هداية الأمة الإسلامية وردعها عن الضلال والشبهات فيما يتعلق بالقرآن الكريم.

ومن أمثلة الإشاريات الاجتماعية هي ألفاظ التحبب والتقدير التي استعان بها النّورسيّ، فهو في قوله: "فآمل من إخواني الكرام أن ينظروا بعين الإنصاف والمسامحة إلى ما كان مني من تقصيرات ونقائص وإشكالات وأخطاء" (النّورسيّ 2011م، ص417)، إذ قام النّورسيّ باستعمال ألفاظ التحبب والتقدير للمخاطب وتبجيلهم بتسميتهم بـ" إخواني الكرام" فيما إذا كان منه

تقصير أو نقص أو إشكال أو خطأ، وفي الوقت نفسه تحدّث عن نفسه بضمير المتكلم المفرد في قوله: "ما كان مني من تقصيرات ونقائص وإشكالات وأخطاء"، وذلك تواضعاً لكونه إنساناً معرَّضاً للخطأ والسهو.

5.1.2. أسماء الإشارة

وهي وحدات معجمية ذات طابع إحالي، وقد ذكر أبو حيان الأندلسي أنّ اسم الإشارة "هو ما وضع لمسمىً وإشارةٍ إليه، وهو في القرب مفرداً مذكرًا (ذا) ثم (ذاك) ثم (ذلك) و(آلك) وللمؤنثة (تي) و(تا) و(ته) و(ذي) و(ذه)، وتكسر الهاءان باختلاسٍ وإشباعٍ، و(ذات)، ثم (تيك) و(تيك) و(ذيك)، .....، وأحسن ما قيل في حدّ اسم الإشارة: اسم الإشارة هو الموضوع لمعين في حال الإشارة. فـ "الموضوع لمعين" جنس يشمل المعارف، و "في حال الإشارة" فصل يُخرج سائر المعارف، ويخص اسم الإشارة" (أ. الأندلسي 1997م، 3/ص181)، ونجد أنّ اسم الإشارة يستعمل للدلالة على المشار إليه، سواء أكان شخصاً أو شيئاً يوجد بمعزل عن لفظه، ولذلك تلازم أسماء الإشارة صفة الإبهام، واستخدامها يفرض أن يتصل بها ما يرفعه عنها (ختام 2016م، ص81).

فتعريفُ الإشارة أن تخصِّص للمخاطب شخصًا يعرفه بحاسَّةِ البَصَرِ". (ابن يعيش 2001م، 2/ص352)، وقد ذكر عباس حسن "ويكثر بعده مجيء الصفة –النعت-، أو البدل، أو عطف البيان ....، لإزالة إبهامه، ومنع اللبس عنه. (النحو الوافي د.ت، 1/ص339)، ويقول ابن يعيش في هذا الصدد: "ويقال لهذه الأسماء: مبهماتٌ؛ لأنها تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء، فتُلْبِس على المخاطب، فلم يدر إلى أيها تشير، فكانت مبهمة لذلك. ولذلك، لزمها البيانُ بالصفة عند الإلباس، ومعنى الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحةٍ أو ما يقوم مقامَ الجارحة، فيتعرفُ بذلك، فالإبهام أمر ملازم لأسماء الإشارة ولابد من بيان هذا الإبهام ولو بجارحة من الجوارح، لأنّ اسم الإشارة: "اسم يعين مدلولَه تعييناً مقروناً بإشارة حسية إليه" (النحو الوافي د.ت، 1/ص321)

وتعدّ أسماء الإشارة من الإشاريات التي "تتصل بالمقام مباشرة دون توسط عناصر إحالية أخرى؛ فهي تربط بالحقل الإشاري (Deictic field) ارتباطاً آنياً محدوداً مباشراً لا يتجاوز ملابسات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل". (الزنّاد 1993م، ص116)

وما نجده من الإبهام الملازم لأسماء الإشارة عند النحاة، وقد عملت اللسانيات التداولية على الفصل في الإبهام الملازم لأسماء الإشارة، حينما سلّمت بأن ورودها في الخطابات واستخدامها يظل رهيناً بمقاصد المتكلم وبسياق الكلام، ومن ثم فإن أسماء الإشارة لا تحيل بذاتها بقدر ما تعتمد بشكل كلي على غيرها للانتقال من حالة الإبهام إلى حالة التعيين والتحديد (ختام 2016م، ص81-82).

وتستعمل أسماء الإشارة للإحالة إلى مرجع يعود على العاقل، وغير العاقل، والجامد، مع وجود قسم منها يخصص بالإشارة إلى شيء معيّن، ومنها أسماء الإشارة المختصة بالمكان، فمثلا: (هنا) اسم إشارة للمكان القريب، وبسبب إحالته للمكان مع الإشارة دخلت ضمن ظروف المكان، وقد تدخل عليه (كاف الخطاب) المفتوحة، فيتحول إلى اسم إشارة للمكان المتوسط، مثل: (هناك)، وإذا اتصل بآخره كاف الخطاب المفتوحة وقبلها لام البعد يتحول للإشارة إلى المكان البعيد، مثل (هنالك)، وفي هذه الحالة تمتنع (هاء) التنبيه؛ لأن (هاء) التنبيه لا تجتمع مع لام البعد (ع. حسن د.ت، 1/ص328).

ومن أمثلة أسماء الإشارة التي استعان بها النّورسيّ قوله: " إن كل آية من أكثر الآيات الواردة في هذه الرسالة المعجزات القرآنية إما أنها أصبحت، موضع انتقاد الملحدين، أو أصابهَا اعتراض أهل العلوم الحديثة، أو مستَّها شبهات شياطين الجن والإنس وأوهامهُم " (النّورسيّ 2011م، ص418)، فقد استعمل اسم الإشارة "هذه" في رسالته التي هي في متناول يد المخاطب - القارئ- كي يزيل الشك عند المخاطب للبحث في رسائله حول الشبهات الواردة حول القرآن الكريم بجمعه كلها في هذه الرسالة، وكتنبيه للمخاطب بأن يقرب رسالته إليه ليستعين بها لردّ الشبهات التي قد يتم إثارتها من قبل الذين يحيطون المخاطب في حياته.

ويعيد النّورسيّ الاستعانة نفسها في قوله: "ولقد تناولت هذه «الكلمة الخامسة والعشرون» تلك الآيات وبينَّت حقائقهَا ونكاتهِا الدقيقة على أفضل وجه، بحيث إنّ ما ظنّه أهل الإلحاد والعلوم من نقاط ضعف ومدار نقص، أثبتته الرسالة بقواعدها العلمية أنه لمعات إعجاز ومنابع كمال بلاغة القرآن" (النّورسيّ 2011م، ص418)، إذ نجد النّورسيّ ينبه المخاطب بأنّ ما يراه الملحدون نقاط ضعف في القرآن الكريم هي نفسها لمعات إعجاز للقرآن الكريم، وباستعماله لاسم الإشارة هذه إنّما يصب تركيز المخاطب لرسالته ويقربها من نفس المخاطب.

ويقول النّورسيّ في موضع آخر: " ثم إن هذه الرسالة «المعجزات القرآنية» وإن كتبت باختصار شديد وفي غاية السرعة إلا أنها قد بينت جانب البلاغة وعلوم العربية بيانا شافيا بأسلوب علمي رصين وعميق يثير إعجاب العلماء." (النّورسيّ 2011م، ص418)، حيث يبين مكامن قوة الرسالة بكونها مختصرة ومحكمة من الجانب البلاغي وعلوم اللغة العربية بأسلوب علمي يثير

إعجاب العلماء، وقد استعان أيضا باسم الإشارة (هذه) لتقريب رسالته لقلب المخاطب وعقله بما استدل به لبيان مكانة رسالته التي كتبها.

ومن ثم نجد النّورسيّ يقول: " لقد أشرنا إلى نحو أربعين وجها من وجوه إعجاز لا تحدّ للقرآن الحكيم الذي هو منبع المعجزات والمعجزة الكبرى للرسول الكريم، وذلك في رسائلي العربية، وفي رسائل النور العربية، وفي تفسيري الموسوم بإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» وفي الكلمات الأربع والعشرين السابقة، وفي هذه الرسالة نشير إلى خمسة من تلك الوجوه ونبينها بشيء من التفصيل، وندرج فيها سائر الوجوه مجملة." (النّورسيّ 2011م، ص419)، حيث يشير النّورسيّ إلى ما قام بكتابته في رسائله العربية وما فيها من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم في حال أراد المخاطب الاطلاع عليها لمعرفتها، ومن ثم يذكر رسالة المعجزات القرآنية بالإشارة إليها باسم الإشارة "هذه" تارة أخرى.

وفي حديث النّورسيّ عن بلاغة القرآن يقول: "بلاغة القرآن معجزة هذه البلاغة المعجزة نبعت من جزالة نظم القرآن وحسن متانته، ومن بداعة أساليبه وغرابتها وجودتها، ومن براعة بيانه وتفوقه وصفوته، ومن قوة معانيه وصدقها، ومن فصاحة ألفاظه وسلاستها." (النّورسيّ 2011م، ص423)، يقوم بصب تركيز المخاطب إلى بلاغة القرآن الكريم التي هي منبع الإعجاز اللغوي ببيان ما فيها من صفات بلاغية ليمعن النظر فيها ويتفهمها باستعانته باسم الإشارة "هذه".

ويقول النّورسيّ: "بهذه البلاغة الخارقة تحدي القرآن الكريم -منذ ألف وثلاث مئة من السنين -أذكى بلغاء بني آدم وأبرع خطبائهم وأعظم علمائهم، فيما عارضوه، وما حاروا ببنت شفة، مع شدة تحديه إياهم، بل خضعت رقابهم بذل، ونكسوا رؤوسهم بهوان، مع أن من بلغائهم من يناطح السحاب بغروره." (النّورسيّ 2011م، ص423)، ويشير باسم الإشارة "هذه" الى بلاغة القرآن الكريم ليرفع من شأنها؛ بأنّ هذه البلاغة لم يستطع أيّ بليغٍ مهما كان علمه وذكائه أن يعارضه أو أن يأتي بما هو في مكانته ومقامه.

وفي وصفه لسكان الجزيرة العربية يقول النّورسيّ: " فكان الكلام الحكيم ذو المغزى يستقر في الأذهان ويتناقله الخلف عن السلف. فهذه الحاجة الفطرية فيهم دفعتهم إلى أن يكون أرغب متاع في أسواقهم وأكثره رواجا هو الفصاحة والبلاغة " (النّورسيّ 2011م، ص423)، فيركز على حاجتهم الفطرية للفصاحة والبلاغة بالاستعانة باسم الإشارة "هذه"؛ ليبين للمخاطب مدى فصاحتهم وبلاغتهم التي كان من فطرتهم ومع هذا لم يستطيعوا مجاراة بلاغة القرآن الكريم والإتيان بمثله.

ويقول النّورسيّ من بعد ذلك: "فهؤلاء القوم الذين ساسوا العالم بفطنتهم بعد إسلامهم كانوا في الصدارة والقمة في ميدان البلاغة بين أمم العالم" (النّورسيّ 2011م، ص423-ص424)، فيستعين باسم الإشارة "هؤلاء" لصب التركيز عليهم بما كسبوا من مكانة عالية بين شعوب العالم بعد إسلامهم –أي أن القرآن الكريم ودين الإسلام زادهم قدرة وعزّة بين الأقوام الأخرى-.

3. النتائج

في ختام البحث، نقيِّد أبرز النتائج والتوصيات الآتية: توصل البحث في هذه المعالجة التداولية للعناصر الإشارية في رسالة المعجزات القرآنية للنورسي، إلى نتائج يمكن إيجازها فيما يأتي:

- كشفت الدراسة قدرا ملفتا للإشاريات التداولية في الخطاب الديني النّورسيّ، للمساهمة في صوغ العملية التواصلية بينه وبين القارئ، بنعتها قناة من قنوات التواصل.

- ساعدَ استعمالُ الإشاريات التداولية النّورسيَّ في خطابه الديني على تبيين الأغراض المتباينة، والتعبير عمّا يريده بدقة كاملة، وحصر نمط صلته بقارئيه.

- تبين من خلال الدراسة استعمال النّورسيّ للضمائر بمختلف أنواعها حاضراً وغائباً، متصلاً ومنفصلاً، ممّا أعانه على الإدلاء عن نفسه وشخصيته لما يبتغي الوصول إليه، وبحسب مقتضيات مقامه، فضلا عن محاولة وصوله إلى تحقيق إعجاز القرآن الكريم، من خلال رد الشبهات وتحويل تلك الشبهات إلى لمعات إعجازية في القرآن الكريم.

4. المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

ابن يعيش، يعيش بن علي(ت643هـ). شرح المفصل للمزمخشري. تحرير إميل بديع يعقوب. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م.

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت180هـ). الكتاب. تحرير عبد السلام محمد هارون. المجلد د.ط. القاهرة، القاهرة: مطبعة المدني، 1988م.

أرمينكو، فرانسواز. المقاربة التداولية. ترجمةسعيد علوش. الرباط: مركز الانماء القومي، 1986م.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف(ت745هـ). ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحرير رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998م.
الأندلسي، أبو حيان(ت745هـ). التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. تحرير حسن الهنداوي. ط1. دمشق: دار القلم، 1997م.
بافو، ماري آن، وجورج إليا سرفاتي. النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن الى الذرائعية. ترجمةمحمد الراضي. ط1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012م.
بحيري، سعيد حسن. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة. ط1. القاهرة: مكتبة الآداب، 2005م.
براون، ج.ب، و ج. يول. تحليل الخطاب. ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي. الرياض: النشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود، 1997م.
حسن، عباس. النحو الوافي. ط3. القاهرة: دار المعارف بمصر، د.ت.
1حسن، عبد الغفار فتاح. "الابعاد التداولية في شعر احمد مطر." أطروحة دكتوراه. تحرير د. دلخوش جار الله دزهيى. اربيل: جامعة صلاح الدين، تشرين الاول د.ي، 2020م.
ختام، جواد. التداولية أصولها وأتجاهاتها. ط1. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2016م.
دزه يي، دلخوش جارالله حسين. "التاشير والتباعد بين القدماء والمحدثين -مقاربة تداولية-." العراق: مجلة العلوم الإنسانية، 2015م، العدد2: ص.ص471-447. جهة الإصدار: جامعة زاخو.
دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والاجراء. ترجمةتمام حسّان. ط1. القاهرة: عالم الكتب، 1998م.
الزنّاد، الازهر. نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً. ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1993م.
السكاكي، أبو يعقوب يوسف(ت626هـ). مفتاح العلوم. تحرير نعيم زرزور. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.
سيرفوني، جان. الملفوظية. ترجمةد. قاسم المقداد. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1998م.
السيساوي، يوسف. التداوليات علم استعمال اللغة. تحرير حافظ إسماعيلي علوي. ط2. إربد: عالم الكتب الحديث، 2014م.
الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراجيات الخطاب مقاربة تداولية لغوية. ط1. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004م.
عبد الحكيم، سحالية. "التداولية امتداد شرعي للسيمائية." الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي". الجزائر: المركز الجامعي، 2008م. ص(421-434).
عمر، احمد مختار. علم الدلالة. ط5. القاهرة: عالم الكتب، 1998م.
لاينز، جون. اللغة والمعنى والسياق. تحرير د. يوئيل عزيز. ترجمةد. عباس صادق الوهاب. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1987م.
الماشطة، مجيد، وأمجد الركابي. مسرد التداولية. ط1. عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع، 2018م.
المتوكل، أحمد. الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. ط1. الرباط: دار الأمان، 2010م.
المتوكل، أحمد. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة الى النص. د.ط. الرباط: دار الأمان، 2001م.
المسدّي، عبد السلام. التفكير اللساني في الحضارة العربية. ط2. تونس: الدار العربية للكتاب، 1986م.
موشلر، جاك، وآن ريبول. القاموس الموسوعي للتداولية. تحرير عزالدين المجدوب وخالد ميلاد.ترجمةمجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية. ط2. تونس: دار دياش سيناترا، 2010م
نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. د.ط. جمهورية مصر العربية: دار المعرفة الجامعية، 2002.
النّورسيّ، بديع الزمان سعيد. الكلمات. ترجمةإحسان قاسم الصالحي. ط6. القاهرة: شركة سوزلر للنشر، 2011م.
يول، جورج. التداولية. ترجمة: د. قصي العتّابي. ط1. الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010م.
Levinson, Stephen C. Pragmatics... د.ط. Cambridge: Cambridge university press, 1983م.

ئیشارییە پراگماتیکییەکان لە -رسائل النور- ی سەعید نەورەسیدا
-نامەی المعجزات القرآنية وەك نموونە-

سەربەست غازی احمد **دڵدار غفور حمدئەمین**
بەشی زمانی عەرەبی، کۆلێژی زمان/ زانکۆی سەلاحەددین-هەولێر
sarbast.ahmed@su.edu.krd deldar.hamadameen@su.edu.krd

پوختە
ئەم توێژینەوە لێکۆڵینەوە دەکات لە ڕەهەندێك لە ڕەهەندەکانی پراگماتیکس لە نێو نامەی "موعجیزاتی قورئانی"، کە یەکێکە لە (نامەکانی نور) ی سەعید نەورەسی –خودا لێی خۆش بێت-، کە بریتیە لە ڕەهەندی نیشانەیی، ئەمەش بە لێکۆڵینەوە لەو توخم وداتایانەی کە پەیوەستن بە چۆنیەتی ئاڕاستەرکردنی نەورەسی بۆ گوتاری ئایینی نوێکراوە سەبارەت بە گومانەکان کە هەڵدەبەسترێن دەربارەی قورئانی پیرۆز، بە ئاڕاستەکردنی ئەنجامدانی پەیوەندی لەگەڵ ئەو کەسانەی گوتارەکەیان ئاڕاستە دەکرێت، بە پشت بەستن بە پەیرەوێکی شیکردنەوە کە لە سەر بنەمای داتای لیکۆڵینەوەی پراگماتیکسی پەسندکراو بەپێی پێداچوون وبەدواداچووندا، بۆ چارەسەرکردنی تێگەیشتنە ئەبستمۆلۆجییە شاراوەکان لە بەکارهێنانی زمانەوانی، وبەدیارخستنی لە بۆشایی گوتاری پەیوەندی فراوان، وکردنەوەی کۆدی شاراوە لە گوتاری نەورەسی، کەوا نوێکردنەوە لە گوتاری ئایینی لەخۆدەگرێت؛ بە ئامانجی بڕواپێکردنی گوێگر، ودۆزینەوەی ڕەهەندی پراگماتیکسی شاراوە تیایدا، کە ئامانجی گەیشتنە بە بەرزترین ئاستەکانی کاریگەری وقایلکردن وسەرنج ڕاکێشانی دڵەکان.

ووشە کلیلەکان: ڕەهەندی نیشانەیی، پەیوەندیکردن وقایلکردن، نامەکانی نور، بەدیعی زەمان نەورەسی.

Pragmatic deixis in (Rasail al-Nur) by Saeed al-Nursi
-The message of Quranic miracles as a model-

Sarbast Ghazi Ahmed **Deldar Ghafur Hamadameen**
Arabic department, College of language, Salahaddin University-Erbil
sarbast.ahmed@su.edu.krd deldar.hamadameen@su.edu.krd

Abstract
This research studies one of the pragmatic dimensions in "al-mʿǧzāt al-qrānīẗ" message, which is one of “rsāʾil al-nūr" by bdīʿ al-zmān sʿīd al-nūrsī -May God have mercy on him - which is the deixis dimension. It examines its elements and data that are related to how al-nūrsī directed his renewed religious discourse regarding the suspicions raised about the Holy Qur’an directing the completion of communication with his interlocutors based on an analytical approach that relies on the data of the pragmatic study adopted according to survey and investigation to address the epistemological understandings that are hidden in its linguistic uses , evacuate them to the wide space of communicative discourse and to decode what is ambiguous in the discourse of al-nūrsī. This discourse includes a renewal in religious discourse in order to convince the addressee and find the inherent deliberative dimension in it, which aims to generate the utmost levels of influence, persuasion and attract hearts.

Keywords: pragmatic deixis, communication and persuasion, rsāʾil al-nūr, bdīʿ al-zmān sʿīd al-nūrsī.